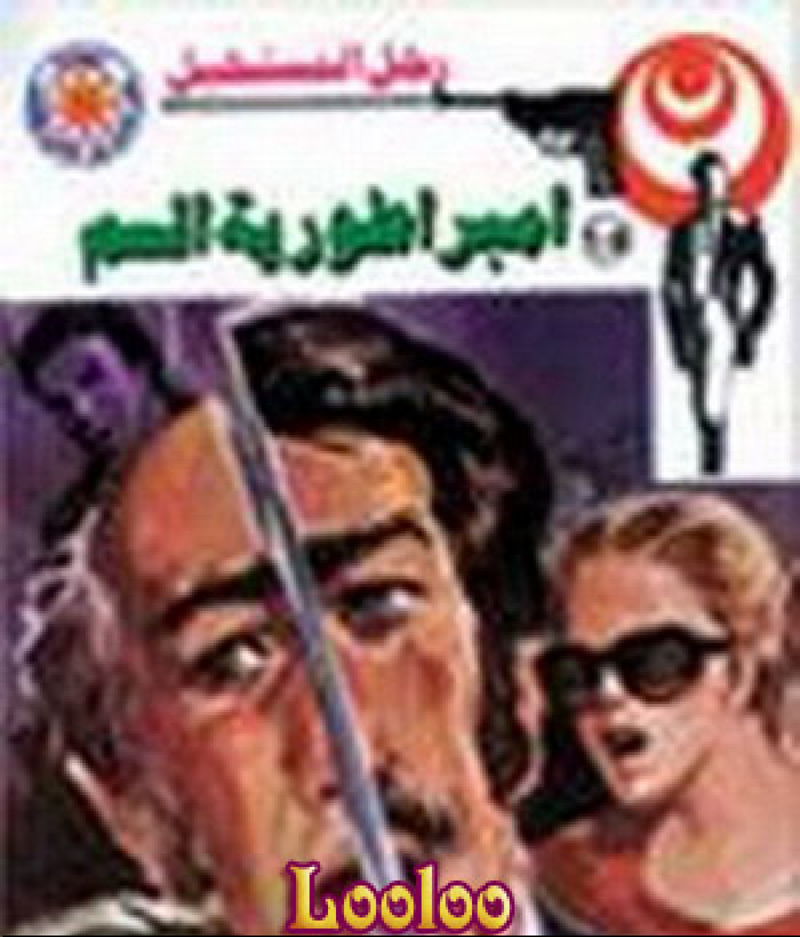
رجل المستحيل
امبراطورية السم

ابتسم المقدم (حازم) وهو يصافحه قائلاً :

ـ ليس الشوق هو الدافع يا (أدهم) ، وإنما هو العمل .

ثم أردف باهتمام وهو يدلف إلى السيارة قائلاً :

ـ كيف حال النقيب (منى توفيق) ؟

ألقى (أدهم صبرى) بحقيبته على المقعد الخلفى ، ثم جلس بجوار (حازم) وهو يجيب ببساطة :

ـ لقد تحسنت حالتها كثيراً ، ويؤكد لى شقيقى الدكتور (أحمد) أنها ستتمكن من العودة لممارسة حياتها الطبيعية بعد أقل من ثلاثة شهور ، وهى فى حالة معنوية ممتازة برغم آلام ساقها اليسرى .

هزّ المقدم (حازم) رأسه ، وهو يقود السيارة إلى قلب القاهرة ، وقال دون أن يلتفت إلى (أدهم) :

ـ أتعشم أن تعود إلى العمل قريباً ، فالمدير يجد صعوبة بالغة فى توفير زميلة جديدة للعمل معك ، بعد إصابة النقيب (منى) ، واستقالة الملازم (هويدا) .

التفت إليه (أدهم) ، وقال بصوت يحمل نبرات الضيق :

ـ لماذا يصرّ المدير على أن أعمل دائماً بصحبة فتاة من فتيات المخابرات ؟.. لِمَ لا أعمل وحدى كأيام الماضى ، أو على الأقل بصحبة زميل ؟

ابتسم المقدم (حازم) ، وقال :

ـ من الأفضل أن توجّه هذا السؤال إليه شخصياً يا صديقى ، فهو يمنحك الكثير من الامتيازات الخاصة ، بسبب طبيعتك الفريدة ، ولعلّه يرى أنك تعمل بصورة أفضل إذا ما صحبتك زميلة ، أو أن تواجد فتاة بصحبتك يبعدك بشكل ما عن الشكوك .

حرّك (أدهم) كتفيه علامة عدم الفهم ، وقال وهو يستند إلى ظهر مقعده :

ـ ولكننى كنت أعمل دائماً وحدى يا (حازم) قبل أن يلزمنى المدير بالعمل مع (منى) ، ولقد كنت أفضل ذلك .

ابتسم المقدم (حازم) ، ولم يعلق على عبارة (أدهم) الأخيرة ، وساد الصمت بينهما قبل أن يسأله (أدهم) باهتمام :

— ترى ما المهمة العاجلة التى دفعتك لانتظارى فى المطار يا (حازم) ؟

أجاب المقدم (حازم) بهدوء :

— لست أدرى بالضبط يا صديقى ، ولكننى تلقيت أمرا بإحضارك فور وصولك من السويد إلى مقر الإدارة ، ولعلها مهمة جديدة ، من تلك المهام المعقدة التى لا تصلح إلا لمن يحمل لقب رجل المستحيل .

* * *

ابتسم مدير المخابرات وهو يصافح (أدهم) بحرارة قائلا :

— حمدًا لله على عودتك سالما أيها المقدم .. كيف حال (منى) ؟

ابتسم (أدهم) وهو يجيب بوُدّ :

— فى خير حال يا سيدى .. شكرا لك .

قال مدير المخابرات وهو يسير بهدوء نحو خريطة ضخمة للعالم ، تملأ نصف الحائط الأيسر للمكتب تقريبا :

— أتعشم ألا تكون متعبا أيها المقدم ، فسوف تسافر بعد ساعتين تقريبا إلى هذا المكان .

وأشار بإصبعه إلى موقع (أثينا) عاصمة اليونان ، فضاقت عينا (أدهم) ، واكتسى وجهه بالاهتمام البالغ ، وهو يقول بنبرات بطيئة قوية :

— بم تتعلق المهمة هذه المرة يا سيدى ؟

عاد مدير المخابرات إلى مكتبه ، واستقرّ على مقعده قبل أن يقول وهو يشير إلى (أدهم) بالجلوس على مقعد مقابل :

— أعتقد أن المهمة التى أنوى إسنادها إليك ستثير دهشتك هذه المرة أيها المقدم .

نظر إليه (أدهم) يتساؤل ، فاستطرد قائلا :

— فى اجتماع مجلس الوزراء أمس دار نقاش طويل حول ظاهرة انتشار المخدرات داخل مصر ، وتزايد معدل تهريبها وإحضارها إلى داخل البلاد ، وتركز اهتمام المجلس فى أنواع المخدرات التى انتشرت حديثا ، ولم تكن معروفة فى بلادنا من قبل ، مثل (الهيروين) و (الماريجوانا) و (الكوكايين) ..

قاطع (أدهم) رئيسه قائلا :

— ولكن مكافحة المخدرات من عمل رجال الشرطة يا سيدى ، وليس رجال المخابرات .

ظهرت علامات الضيق على وجه مدير المخابرات بسبب مقاطعة (أدهم) له ، وانعكس هذا الضيق على نبرات صوته وهو يقول :

— إن مكافحة المخدرات تخص رجال الشرطة داخل البلاد فقط .. أيها المقدم ، ولكننا فى هذه المرة نفكر فى عمل جديد .. عمل حاسم .

اعتدل (أدهم) فى مقعده ، وظهر الاهتمام على

ملامحه ، على حين تابع مدير المخابرات قائلا :

— لقد أكدت تحرياتنا أن الجانب الأكبر من المخدرات التى يتم تهريبها إلى هنا تأتى من مكان مجهول فى اليونان عن طريق البحر ، ولقد حاولنا التوصل إلى هذا المكان بمعاونة السلطات اليونانية ، إلا أن كل محاولاتنا باءت بالفشل .

وصمت لحظة قبل أن يستطرد قائلا :

— ليس الفشل التام ، ولكننا استطعنا أن نحصر شبهاتنا فى رجل أعمال يونانى ، يُدعى (نيقولاس أندرياس) ، ولكننا برغم معاونة السلطات اليونانية لم ننجح فى العثور على دليل واحد يدينه ، أو يقودنا إلى المكان الذى تصنع فيه هذه السموم ، ولقد اتفقت مع زميلى مدير المخابرات اليونانية على أن هذا الأمر يحتاج إلى تخطيط خاص ، وليس إلى تحريات رسمية .

ابتسم مدير المخابرات وهو ينظر إلى (أدهم) قائلا بلهجة ذات مغزى خاص :

– باختصار اتفقنا على أن هذا الأمر يحتاج إلى رجل واحد .. رجل يستطيع بإمكاناته وحده تحطيم امبراطورية السموم .

قال (أدهم) بهدوء دون أن تختلج عضلة واحدة من وجهه :

– متى يمكننى أن أبدأ العمل يا سيدى ؟

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات وهو يتراجع فى مقعده قائلا :

– لقد أخبرتك أيها المقدم أنك ستسافر بعد ساعتين تقريبا ، ولقد وافق مجلس الوزراء على قيام مصر بهذه المهمة ، بالتعاون مع السلطات اليونانية .

قام (أدهم) واقفا ، وأدى التحية العسكرية وهو يقول :

– يسعدنى النهوض بهذه المهمة يا سيدى .. وخاصة عندما لا ترافقنى فى أدائها زميلة .

ابتسم مدير المخابرات بخبث وهو يقول :

– نعم أيها المقدم ، لن ترافقك هذه المرة زميلة .. مصرية .

* * *

٢ ـ على أرض المعركة ..

لم يكد (أدهم صبرى) يجتاز بوابة الخروج فى مطار (أثينا) ، حاملا حقيبته السوداء المتوسطة الحجم حتى توقفت أمامه سيارة صفراء صغيرة . وهبطت منها فتاة فى نحو الخامسة والعشرين من عمرها ، متوسطة الطول ، شقراء الشعر ، تعقصه خلف رأسها بحلقة مطاطية ، تاركة أطرافه تتدلى خلفها كطالبات المدارس الثانوية ، ولها أنف منمنم ، وفم صغير للغاية ، وتختفى عيناها خلف منظار شمسى ضخم ، يبتلع نصف وجهها .. وأشارت إليه بمرح وهى تقول باليونانية :

ـ حمدا لله على وصولك بالسلامة يا عزيزى (أشرف) .. هل كانت رحلتك موفقة ؟

ثم أمسكت بيده تقوده إلى السيارة وهى تهمس فى أذنه قائلة :

وأشارت إليه بمرح وهى تقول باليونانية :

ــ حمداً لله على وصولك بالسلامة يا عزيزى (أشرف) ..

ــ الملازم (أيلينا دوبولوس) من المخابرات اليونانية .. مرحبا بك فى (أثينا) يا سيادة المقدم (أدهم) .

فتحت (أيلينا) باب السيارة المجاور لمقعد السائق ، وهمّت بالجلوس خلف عجلة القيادة عندما تناول (أدهم) مفاتيح السيارة من يدها بهدوء وهو يقول :

ــ ما دمنا سنعمل معا فمن الأفضل أن تعتادى على أننى أتولى القيادة دائما أيتها الملازم .

نظرت إليه (أيلينا) ببرود ، وساد الصمت بينهما لحظة قبل أن تخلع منظارها الشمسى ، وتتطلع إلى (أدهم) بعينين واسعتين زرقاوين فى لون مياه البحر ، وبرود القطب الشمالى ، وتراقصت ابتسامة ماكرة على شفتيها وهى تقول بهدوء شديد مفتعل :

ــ هل تعنى بقولك قيادة السيارة فقط أم العملية بأكملها يا سيادة المقدم ؟

اتخذ (أدهم) مقعده أمام عجلة القيادة ، وأدار

محرك السيارة بهدوء قبل أن يقول بحزم :

ـ بل أعنى العملية كلها أيتها الملازم .

تطلعت إليه (أيلينا) لحظة بتحد ، ثم دارت حول مقدمة السيارة ، وجلست على المقعد المجاور وهى تقول دون أن تلتفت إليه :

ـ حاول أن تتذكر دائما أنك تعمل على أرض يونانية يا سيادة المقدم .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال وهو ينطلق بالسيارة :

ـ ترى هل يظل فارق الرتب بيننا ساريا على الأراضى اليونانية أيتها الملازم ؟!

اكتسى وجهها بالصرامة وهى تقول ببرود :

ـ نعم يا سيادة المقدم .. ما دامت حكومتى ترى ذلك .

* * *

جلست (أيلينا) على مقعد وثير يتصدر ردهة

منزلها ، وقالت وهى تناول (أدهم) صورة فوتوجرافية ملونة :

ـ هذا هو الرجل الذى نسعى لتحطيمه يا سيادة المقدم .

تناول (أدهم) الصورة ، وتطلع إليها بتركيز .. كانت صورة لرجل فى أواخر الأربعينات من عمره ، نحيل الوجه ، طويل الأنف ، واسع الفم ، له ذقن مدبب ، وأذنان ضخمتان ، ويتراجع شعره إلى الخلف ، على حين تحوّل سالفاه إلى الشيب تماما ، مما زاده وسامة ..

أعاد (أدهم) إليها الصورة وهو يقول ساخرا :

ـ إننا لا نسعى لتحطيم رجل أيتها الملازم ، وإنما غايتنا امبراطورية السم بأكملها .

هزت (أيلينا) رأسها وهى تقول بضيق :

ـ دعنا من هذه المسميات يا سيادة المقدم .. المهم الآن أن نناقش الخطة التى قررنا تنفيذها و ...

قاطعها (أدهم) وهو يقول بلهجة متهكمة :

— لا داعى لإضاعة الوقت فى ذلك أيها الملازم ، فأنا لا أنوى الالتزام بهذه الخطة على الإطلاق .

حدقت (أيلينا) فى وجهه بدهشة ، وصاحت بغضب :

— هل تمزح يا سيادة المقدم ؟.. إن هذه الخطة مضمونة النجاح ، ولقد تم تنفيذها مسبقًا فى ...

عاد (أدهم) يقاطعها وهو يشير بسبابته قائلاً :

— هذا هو ما يدفعنى إلى رفضها أيتها الملازم .

ثم جلس بهدوء على مقعد مواجه لها وهو يتابع قائلاً :

— إن أصحاب النشاط الواحد يتفقون دائمًا فى المصالح المشتركة ، والمخاطر المشتركة أيضًا أيتها الملازم ، ومن العجيب فى هذا العالم أن الأشرار هم أكثر من يلتزم بهذه الروابط ، ربما بدافع الخوف من العقاب ، أو السقوط ، ومن الطبيعى أن تكون تلك الخطة التى أوقعت بأحدهم معروفة للجميع عن ظهر قلب ،

ونجاحها فى المرة الأولى يعنى استحالة نجاحها بعد ذلك .

قالت (أيلينا) بغضب :

— أين تعلمت أعمال المخابرات يا سيادة المقدم ؟

تجاهل (أدهم) سؤالها وأكمل قائلاً :

— ولذلك فسألجأ إلى أسلوب جديد فى عالم المخابرات ، وإن كنا نستخدمه قديمًا فى أثناء عملى فى القوات الخاصة .. أسلوب دراسة العدوّ عن قرب .

قطّبت (أيلينا) حاجبيها وهى تتطلّع إليه بدهشة قائلة :

— ماذا تعنى بحقّ السماء ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية وهو يقول :

— أعنى ببساطة أننى سأذهب لمقابلة (نيقولاس أندرياس) شخصيًا أيتها الملازم .

* * *

شبك (نيقولاس) أصابع كفيه أمام وجهه ، وتأمل (أدهم) باهتمام قبل أن يقول ببطء :

— من حسن حظك أنك استطعت مقابلتي في اليوم الأول يا سيد (أشرف) فبعض رجال الأعمال ينتظرون ثلاثة أيام حتى يمكنهم ذلك .

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

— يمكنك اعتباري حسن الحظ بالفعل يا سيد (نيقولاس) ، وهذا عامل مفيد في عالم رجال الأعمال .. أمثالنا .

أومأ (نيقولاس) برأسه موافقا في بطء دون أن يرفع عينيه عن وجه (أدهم) ، وقال :

— هذا صحيح ياسيد (أشرف) ، ولقد كان (نابليون بونابرت) دائما يختار ضباطه من بين من اشتهروا بحسن الحظ .. ولم يكن ذلك مجرد نزوة .

قال (أدهم) :

— معذرة يا سيد (نيقولاس) ، ولكنني سأتوقف عن الحديث حول مسألة الحظ هذه ، لأنتقل مباشرة إلى مناقشة الأعمال التي قدمت من أجلها .

مطّ (نيقولاس) شفته السفلى وهو يقول بنبرته البطيئة :

— لست أدرى فيما تودّ التحدث يا سيد (أشرف) ، فإن لدىّ وكيلاً لكل منتجات مصانعي من مواطنيك ، وكان يمكنك التحدث معه في مصر بدلا من سفرك إلى هنا .

نظر إليه (أدهم) ، وقال وهو يبتسم بخبث :

— لكل منتجاتك يا سيد (نيقولاس) ؟

ضاقت عينا (نيقولاس) وهو يقول بحذر :

— نعم يا سيد (أشرف) .. كلها .. منتجات البلاستيك والمواد الغذائية و ...

مال (أدهم) نحوه ، ونظر في عينيه مباشرة ، وهو يقول بابتسامة ساخرة :

— لقد جئت لأتحدث إليك بشأن أهم منتجاتك يا سيد (نيقولاس) .

ازدادت عينا (نيقولاس) ضيقا وبرقتا بشراسة ،

عندما أردف (أدهم) قائلا بهدوء :

ـ المخدرات .

* * *

٣ ـ لقاء الامبراطور ..

ظلّ (نيقولاس) يحدق فى وجه (أدهم) دقيقة كاملة ، ثم انفجر ضاحكا ، واعتدل فى مقعده الكبير ، وقال بسخرية وهو ينظر فى وجه (أدهم) :

ـ من الواضح أنك قد أخطأت العنوان يا سيد (أشرف) ، فهذا النوع من التجارة غير مشروع فى اليونان .

أشاح (أدهم) بذراعه وهو يقول مبتسما :

ـ إننى لا أتحدث فى المشروعيات يا سيد (نيقولاس) ، وإنما فى العمل ، وأنا واثق أننى لم أخطئ العنوان .

تجهّم وجه (نيقولاس) فجأة ، وقال وهو يمدّ يده إلى سماعة الهاتف :

ـ اسمع يا سيد (أشرف) .. إنك تتحدث إلى

رجل أعمال شريف فى أمور غير شريفة . ولو واصلت هذا الحديث ثانية واحدة فسأضطر للاتصال برجال الشرطة .

نهض (أدهم) واقفا وهو يبتسم بسخرية قائلا :

ـ أنت تعلم جيدا أن كلينا لا يميل إلى رجال الشرطة يا سيد (نيقولاس) ، ولكننى سأتركك الآن ، وأعود إليك غدا فى نفس الموعد ، ولو سمحت لى سكرتيرتك بالدخول فسأعلم أننا بسبيلنا إلى الاتفاق .. إلى اللقاء يا سيد (نيقولاس) .

ظلّ (نيقولاس) صامتا حتى غادر (أدهم) الغرفة ، ثم أسرع يتناول سماعة الهاتف ويطلب رقما قصيرا ، وما أن سمع صوت محدثه حتى قال بلهجة آمرة :

ـ (ديبوس) .. أريد منك أن تتعقب الرجل الذى غادر مكتبى توًا ، وأريد منك كل المعلومات التى يمكن جمعها عنه ، وبأقصى سرعة ممكنة .

نهض (أدهم) واقفا وهو يبتسم بسخرية قائلا :
ـ أنت تعلم جيدا أن كلينا لا يميل إلى رجال الشرطة ..

ثم وضع سماعة الهاتف ، وأشعل سيجارة طويلة ، وهو يضم حاجبيه قائلاً لنفسه :

– حسنا يا سيد (أشرف) ، سترى كيف أن (نيقولاس أندرياس) يجيد هذه اللعبة إلى درجة الموت .

* * *

سار (أدهم) بخطوات بطيئة فى الطريق المفضى إلى فندقه ، وبدا من تطلّعه المستمر إلى واجهات المحال التجارية ، وكأن شيئا لا يشغل عقله ، حتى أنه استغرق نصف ساعة تقريبا للوصول إلى الفندق ، ثم صعد إلى غرفته مباشرة ، وما أن دخلها حتى تحوّلت ملامحه الهادئة إلى ابتسامة ساخرة ، وهو يغلق الباب خلفه ، فقطبت (أيلينا) حاجبيها ، وقالت بغضب :

– زملائى فى المخابرات لا يفهمون ما تهدف إليه يا سيادة المقدم ، ولا يوافقون على هذا الأسلوب الذى ...

قاطعها (أدهم) وهو يخلع سترته قائلا :

– لقد فات وقت الاعتراض أيتها الملازم .. لقد قابلت (نيقولاس) ، وتفاوضت معه لشراء شحنة من المخدرات .

قفزت (أيلينا) من مقعدها صارخة :

– شحنة مخدرات ؟.. إنها خطة مجنونة .. لن أعمل معك ، سأبلغ رؤسائى و ...

قاطعها (أدهم) وهو يقول بصرامة :

– أنت حرّة فى أن تعملى أو لا تعملى معى أيتها الملازم ، ولكننى أرى أن هذا الأسلوب جديد إلى درجة قادرة على خداع امبراطور السم .

هزّت (أيلينا) رأسها بقوة وهى تصيح بعصبية :

– أين الجديد فى هذه الخطة يا سيادة المقدم ؟.. إنها أقدم خطة فى تاريخ حرب المخدرات حتى الأفلام السينمائية لجأت إليها .. إنها باختصار خطة مستهلكة .

أشار (أدهم) بسبابته وهو يقول :

– بالعكس أيتها الملازم ، إنها المرة الأولى التى يتم فيها

استخدام هذا الأسلوب عن طريق رجل من خارج البلاد ، وهذا ما سيخدع (نيقولاس) .

تناولت (أيلينا) حقيبتها الصغيرة ، وتوجهت نحو باب الغرفة وهى تقول بغضب :

ـ لك ما تريد يا سيادة المقدم ، ولكننى لن أواصل هذه الخطة الفاشلة ، سأطلب من رؤسائى أن ...

وفجأة تبدلت ملامح (أدهم) ، واكتسى وجهه بغضب عارم وهو يشير إليها بصوته الذى يجمّد الدم فى العروق :

ـ قفى أيتها الملازم .

شىء ما فى لهجة (أدهم) الصارمة أو ملامحه الغاضبة أثار الرجفة فى جسد الملازم (أيلينا)، وسمّرها فى مكانها ، وعقد لسانها حتى أنها لم تقو على الاعتراض عندما أشار إلى مقعدها قائلا بلهجة آمرة ، لا تحتمل النقاش :

ـ اجلسى هنا ، ولن أسمح لك بعد هذه اللحظة

بمعارضة أوامرى .. إننا لا نمزح .

أطاعت (أيلينا) الأمر بمزيج من الخوف والرهبة ، على حين واصل (أدهم) حديثه قائلا :

ـ ليس لدىّ الوقت الكافى لترويض نمرة مثلك ، وينبغى أن تتعلمى إطاعة الأوامر ، وتلقى بهذا العناد السخيف فى البحر .

أرادت (أيلينا) أن تعترض .. بل إنها قررت ذلك فعلا ، ولكنها وجدت نفسها تقول باستسلام :

ـ بمَ تأمر يا سيادة المقدم ؟

عادت ملامح (أدهم) إلى الهدوء فجأة وهو يقول :

ـ لنؤجل الأوامر إلى اللحظة التى نحتاج فيها لذلك ، أما الآن فلنحصر تفكيرنا فيما يمكن أن يجده الرجل الذى أرسله (نيقولاس) خلفى .

اتسعت عينا (أيلينا) دهشة وهى تقول :

ـ هل أرسل خلفك أحد رجاله ؟.. كيف علمت ذلك ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية وهو يقول :

— إن واجهات المحال التجارية تعكس بعض المشاهد المفيدة أيتها الملازم .

ثم اتسعت ابتسامته وهو يقول متهكما :

— المهم أن ينجح فى مهمته ، فلقد أعدّت له مخابراتنا مفاجأة .

* * *

وقف (ديموس) بقامته العملاقة ، ورأسه الضخم أمام (نيقولاس) ، وقال :

— لقد حصلت على المعلومات المطلوبة أيها الزعيم ، ولقد اضطررت للتحدث تليفونيا مع عميلنا فى القاهرة ثلاث مرات ، قبل أن أحصل على صورة متكاملة .

أومأ (نيقولاس) برأسه فى بطء وهو يقول :

— هات ما عندك يا (ديموس) ، فكلى آذان صاغية .

أخرج (ديموس) من جيب معطفه ورقة مطوية ،

فردها بعناية ، وأخذ يقرأ ما بها بصوت مسموع قائلا :

— هذا الرجل يحمل جواز سفر باسم (أشرف صدقى) رجل أعمال ومليونير مصرى ، يملك شركة ملاحية كبيرة ، فى مدينة السويس ، وهذه هى أول زيارة له إلى اليونان ، ولكن جواز سفره مملوء بتأشيرات دخول العديد من الدول ، وله رفيقة يونانية ، تعمل كعارضة أزياء ، من المرجح أنه قد تعرّف عليها فى القاهرة ، إذ أن والديها أقاما هناك عدة سنوات ، وهى تُدعى (أيلينا دوبولوس) .

زوى (نيقولاس) ما بين حاجبيه، وقال :

— ألا يحتمل أنه يعمل لحساب الشرطة اليونانية ؟

حرّك (ديموس) رأسه علامة النفى وهو يقول :

— هذا مستحيل يا سيدى ، فالقانون يمنع انضمام الأجانب للشرطة المحلية .

ظهرت الحيرة على وجه (نيقولاس) ، وهو يحك أنفه الطويل قائلا :

— هذا عجيب .. إن ذلك الأسلوب الذى بدأنى به يدل على ثقته التامة فيما يقول وجرأته العجيبة .. من أين أتى بهذه المعلومات الخطيرة يا ترى ؟

فكر (ديموس) لحظة ، ثم قال :

— من العجيب أنه لا يرتبط بأىّ صلة صداقة بعميلنا فى القاهرة ، برغم أن كليهما من رجال الأعمال .

نهض (نيقولاس) من مقعده ، وأخذ يسير فى أنحاء الغرفة بقلق ، ثم التفت إلى (ديموس) وقال بنبراته البطيئة :

— حسنا يا (ديموس) ، سنستقبل هذا الرجل المدعو (أشرف صدق) فى غد ، وعليك بتفتيشه جيدا قبل دخوله ، حتى نطمئن إلى أنه لن يحمل سلاحا ، أو أى من أجهزة التصنت ، والتسجيل ، ولنر ماذا يريد منا .

ابتسم (ديموس) بشراسة وهو يقول :

— هل ستقابله أنت أم (كارلوس) أيها الزعيم ؟

سرت ابتسامة على وجه (نيقولاس) وهو يحك أنفه قائلا :

— لو أنه مخادع سأتولى أنا أمره ، أما لو كان يشد الصفقة حقا فسنرسله بالطبع إلى (كارلوس) ، فأنا لا أعمل فى تجارة المخدرات المشبوهة .

قهقه (ديموس) ضاحكا ، وقال :

— أنت محق أيها الزعيم .. إن (كارلوس) هو المهرب الحقيقى .

* * *

٤ ـ الخطوة الأولى ..

توجه (أدهم) إلى سكرتيرة مكتب (نيقولاس) ، وقال وهو يرسم على شفتيه ابتسامة جذابة :

ـ لدىّ موعد مع السيد (نيقولاس أندرياس) ترى هل يوافق على مقابلتى ؟

وقبل أن تفتح السكرتيرة الحسناء شفتيها لتنطق بكلمة جاء صوت أجش من خلف (أدهم) يقول :

ـ نعم ، إنه يوافق على مقابلتك يا سيد (أشرف) .

استدار (أدهم) بهدوء ، فوقع بصره على عملاق ، يناهز المترين طولا ، ضخم الجثة بشكل مخيف ، وله رأس ضخم ، مملوء بشعر مجعد قصير ، وعينان ضيقتان . وأنف أفطس ..

توجه العملاق نحوه ، ومد يده يصافحه وهو يقول :

ـ أنا (ديموس) الحارس الخاص للسيد

(نيقولاس) ، هل تسمح بأن تتبعنى إلى غرفتى قبل دخولك إلى السيد .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

— إننى أسمح بالطبع ، فقد اعتدت هذا الأسلوب الذى تسمونه بإجراءات الأمن

ازدادت عينا (ديموس) ضيقا ، وهو يحدق فى (أدهم) قائلا :

— نعم ، إنها كذلك يا سيد (أشرف) .. كل رجال الأعمال يحبذون إجراءات الأمن .

تبعه (أدهم) إلى غرفته ، وما أن أغلق الباب خلفهما ، حتى قال (ديموس) بهدوء :

— هل تسمح بأن تخلع سترتك يا سيد (أشرف) ؟.. وأعتذر مقدما ، لأننى سأطلب منك أن تخلع حذاءك وساعة يدك أيضا .

ضحك (أدهم) ضحكة قصيرة ساخرة ، وقال :

— إجراء ممتاز يا (ديموس) ، فأجهزة التصنت

الحديثة بلغت حدا من الصغر يسمح بوضعها فى ساعة المعصم ، أو كعب الحذاء ، ولكننى أحذرك فقفل الحزام أيضا يصلح لذلك .

ظهر التردد على وجه (ديموس) ، وهمّ بالتحدث عندما أسرع (أدهم) يقول بسخرية :

— لا تطلب ذلك يا (ديموس) ، فلو أننى أعطيتك حزامى سيسقط (بنطلونى) أرضا .

زوى (ديموس) ما بين حاجبيه غضبا ، وقال ببرود وهو يتناول سترة (أدهم) وساعته ، وحذاءه :

— يمكنك الآن مقابلة السيد (نيقولاس) يا سيد (أشرف) .

* * *

نهض (نيقولاس) من مقعده ، وصافح (أدهم) بهدوء ، ثم دعاه للجلوس ، واستقرّ على مقعده ، وأخذ يتأمل (أدهم) طويلا ، حتى ابتسم هذا الأخير ، وقال بسخرية :

— هل تعجبك ملامحى يا سيد (نيقولاس) ؟ أم أنك تخشى ألا أكون نفس الرجل الذى قابلك أمس ؟

ابتسم (نيقولاس) بهدوء ، وقال :

— لك روح دعابة طريفة يا سيد (أشرف) .

ثم عادت ملامحه إلى جديتها وهو ينهض من مقعده ، ويدور فى أنحاء الغرفة الواسعة ، قائلاً بلهجته البطيئة :

— لقد أثار حديثك أمس فضولى يا سيد (أشرف) ، وقدرت أنه ربما أنك تخلط بينى وبين شقيقى (كارلوس أندرياس) ، فلقد علمت من بعض المصادر أنه يتجر فى نفس البضاعة التى تنشدها .

لم يستطع (أدهم) منع ابتسامة ساخرة وجدت طريقها إلى شفتيه ، وهو يستمع إلى (نيقولاس) الذى استطرد قائلاً :

— وشقيقى (كارلوس) يقيم فى (الكسندرو بولوس) بقرب الحدود التركية اليونانية ولعله ...

قاطعه (أدهم) بهدوء قائلاً :

— لم لا نتحدث بصورة مباشرة بدلاً من إضاعة الوقت فى هذه المهاترات يا سيد (نيقولاس) ؟

التفت إليه (نيقولاس) بدهشة بالغة ، فتابع (أدهم) دون أن يهتم بالغضب البادى على وجهه :

— لقد حضرت للتفاوض بشأن صفقة ضخمة ، لا من أجل ممارسة ألعاب صبيانية ، نلف بها وندور حول أهداف واضحة .

ظلّ الغضب مرتسماً على وجه (نيقولاس) فترة ، ثم لانت ملامحه بالتدريج ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يربّت على كتف (أدهم) قائلاً :

— لقد ربحت يا سيد (أشرف) ، سنتحدث فى الأمر مباشرة وبلا مواربة .

ثم جلس على مقعده ، وأشعل سيجارته قبل أن يسأل باهتمام :

— ما حجم الصفقة يا سيد (أشرف) ؟

اعتدل (أدهم) ، وقال بهدوء :

— ما قيمته مليونين من الدولارات يا سيد (نيقولاس) .

رفع (نيقولاس) حاجبيه إلى أعلى ، ثم ابتسم ، وقال :

— إنها صفقة جديرة بالاهتمام يا سيد (أشرف) .. وما النوع الذى تطلبه ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة مبهمة وهو يقول :

— الكوكايين يا سيد (نيقولاس) .. الكوكايين النقى .

سحب (نيقولاس) نفسا عميقا من سيجارته ، ونفثه ببطء ، ثم قال :

— أعتقد أنه فى هذه الحالة لا بد لك من التفاوض مع شقيقى (كارلوس) يا سيد (أشرف) .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وقال :

— كنت أفضل التعامل معك مباشرة يا سيد (نيقولاس) .

هزّ (نيقولاس) رأسه رافضا ، وقال ببطء :

— هذا مستحيل يا سيد (أشرف) ما دمت تطلب الكوكايين ، فهو من اختصاص شقيقى .

شعر (أدهم) بالفخ الذى أوقعه فيه (نيقولاس) ، ولكنه ابتسم بهدوء وهو يقول :

— اتفقنا يا سيد (نيقولاس) .. سأتمم الصفقة مع شقيقك .

* * *

قطبت (أيلينا) حاجبيها وهى تقول بدهشة :

— شقيقه ؟.. لقد انحرفت بالمهمة إلى درب جديد يا سيادة المقدم .. درب لم نقصده على الإطلاق .

قال (أدهم) وهو يفكر بعمق :

— ربما لم تنحرف كثيرا أيتها الملازم ، ما دمنا فى طريقنا للإيقاع بأحد كبار تجار هذا السم .

ضربت (أيلينا) بقبضتها على حافة المقعد وهى تصيح :

— ولكنه ليس الرأس أيها المقدم .. إن هدفنا هو تحطيم رأس هذه الامبراطورية الإجرامية ، وإلا تولت الشرطة هذا الأمر .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه وهو يقول :

— اصمتى أيتها الملازم حتى يمكننى التفكير فى الأمر بهدوء .

انفجرت (أيلينا) صائحة بغضب :

— لن أصمت بعد الآن يا سيادة المقدم .. لقد أفسدت مهمة أعددنا لها طويلا .. أفسدتها بغرورك وتعاليك .. إنك لا تصلح للعمل المشترك .

صاح (أدهم) بغضب :

— اصمتى أيتها الملازم .

ثم أمسك ذراعها بقوة وهو يقول :

— دعينا نفكر بهدوء .. إن المهمة لم تفشل بعد .. لماذا لا نتمادى فى الأمر !؟.. سأذهب غدا إلى (الكسندرو بولوس) ، وسأقابل (كارلوس أندرياس)

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه وهو يقول :
— اصمتى أيتها الملازم حتى يمكننى التفكير فى الأمر بهدوء ..

وربما نجحت فى دفعه إلى الاستعانة بشقيقه . وهنا نوقع بالرأسين معا .

صمتت (أيلينا) لحظة حدقت خلالها فى وجه (أدهم) بعناد ، ثم قالت :

ـ سنذهب معا يا سيادة المقدم ، فهذه مهمة مشتركة . وليست مصرية خالصة .

قطب (أدهم) حاجبيه . وترك ذراعها ، ثم قال :

ـ فليكن ما دامت العلاقات الدولية تجبرنى على ذلك .. تجبرنى على اتخاذ خطوة أعلم جيدا أنها غير صحيحة .

ثم أولاها ظهره وهو يسألها :

ـ ما معلوماتك عن (كارلوس أندرياس) أيتها الملازم ؟

دلكت (أيلينا) ذراعها حيث أمسك بها (أدهم) ، وقالت :

ـ معلومات محدودة للغاية أيها المقدم ، فهذه هى

المرة الأولى التى يشار فيها إلى علاقة (كارلوس) بهذا النشاط الإجرامى ، فهو يكبر (نيقولاس) بعام واحد ، ولكنه يقيم دائما فى قصر فخم فى (الكسندرو بولوس) ، وينفق من إيراد أملاكه ، ولا يمتلك أية مصانع أو شركات ، وإنما رقعة ضخمة من الأرض المزروعة ، وهو يقضى معظم وقته داخل قصره ، ولا يراه الآخرون إلا فيما ندر .

ابتسم (أدهم) بسخرية وهو يقول :

ـ إذن فسيكون لنا غدا شرف مقابلة السيد (كارلوس أندرياس) .. كم أشتاق لرؤية امبراطور الكوكايين هذا .

ثم التفت إلى (إيلينا) ، وقال متهكما :

ـ احذرى حمل أية أسلحة أو أدوات تصنت أيتها الملازم ، وإلا اضطررت إلى دخول قصر السيد (كارلوس) حافية القدمين .

* * *

٥ ــ الامبراطور الثانى ..

انطلق (أدهم) بالسيارة الصفراء الصغيرة فى الطريق المؤدى إلى (ألكسندرو بولوس) وهو صامت يفكر بعمق فيما جرى من أحداث ، وفيما يحتمل وقوعه ، أما (أيلينا) فقد تشاغلت بمطالعة بعض الصحف اليونانية ، وعبر (أدهم) طريقا ضيقا يطل من فوق ربوة عالية على البحر المتوسط ، ثم انحنى بالسيارة يسارا ، وأطلق من فمه صفيرا متصلا ، وقال ساخرا :

ــ يبدو أن صديقنا (كارلوس) يعيش كملوك العصور الوسطى .

رفعت (أيلينا) رأسها ، وأطلقت بدورها صفيرا مماثلا ، فقد طالعها قصر مهيب ، بأبراجه الشاهقة يقبع وسط مساحة خضراء شاسعة ، وله سور متوسط الطول ، يحيط بمساحته الفسيحة .

كان القصر يشبه فى مظهره قصور ملوك أوربة فى القرون الوسطى . وسرعان ما توقف (أدهم) بالسيارة أمام بوابته المعدنية الضخمة . وتقدم نحوه شاب رشيق القوام ، انحنى على نافذة السيارة قائلا بلهجة مهذبة :

— السيد (أشرف صدق) حسبما أعتقد ؟

أجابه (أدهم) بابتسامة هادئة ، وإيماءة رأس تعنى الإيجاب . فعاد الشاب إلى البوابة ، وضغط على زر صغير بجوارها ، فانفرج مصراعا ضلفتيها ، وعبرها (أدهم) بسيارته منطلقا فى طريق طويل . قاده إلى مدخل القصر . فرفع حاجبيه مندهشا عندما طالعته (ديموس)بقامته العملاقة،ثم ابتسم وهو يتمتم بسخرية:

— عجبا لهذا الوغد العملاق .. إنه يعمل مع الشقيقين على السواء .

وتوقف (أدهم) أمام (ديموس) مباشرة ، وزوى هذا الأخير حاجبيه بمزيج من الدهشة والغضب عندما هبط (أدهم) من السيارة وتبعته (أيلينا) . فبادره (أدهم) قائلا :

— لم أتوقع رؤيتك هنا يا عزيزى (ديموس) .

أشار (ديموس) إلى (أيلينا) ، وقال بضيق :

— لم يكن من اللائق أن تحضر صديقتك اليونانية يا سيد (أشرف) .

ضحك (أدهم) ، وأحاط كتف (أيلينا) بذراعه قائلا :

— إن (أيلينا) ليست صديقتى فحسب يا (ديموس) .. إنها شريكتى فى هذه الصفقة .

اتسعت عينا (ديموس) دهشة ، ثم عادت ملامحه إلى وضعها الغاضب وهو يقول :

— أنت مخطئ فى تصرفك هذا يا سيد (أشرف) .. لن يعجب السيد (كارلوس) .. لن يعجبه على الإطلاق .

* * *

دار (أدهم) ببصره فى ردهة القصر الواسعة . وتوقفت عيناه قليلا فوق سيفين من سيوف العصور

الوسطى تعلقا فوق الحائط أسفل درع معدنى أنيق ، حفرت عليه بعض النقوش القديمة ، ويتوسطه حرف الألف باللغة اليونانية . فابتسم بسخريته المعهودة قائلا :

— يخيل إلىّ وأنا أتطلع إلى ديكورات هذا القصر أن السيد (كارلوس) سيقابلنا فى ثياب فرسان العصور الوسطى .

سمع صوتا من خلفه يقول بهدوء :

— ليس إلى هذا الحد يا سيد (أشرف) .

التفت (أدهم) و (أيلينا) إلى مصدر الصوت ، فاتسعت عيناها دهشة ، على حين قطّب (أدهم) حاجبيه وهو يتطلع إلى (كارلوس) ، الذى وقف بهدوء مرتديا روبه المنزلى ..

كان (كارلوس) صورة طبق الأصل من شقيقه (نيقولاس) ، بوجهه النحيل ، وأنفه الطويل ، وفمه الواسع ، وعينيه الضيقتين ، باستثناء أن (كارلوس) كان أصلع الرأس ، وله شارب كث .

اقترب منهما (كارلوس) بهدوء ، وصافح (أدهم) قائلا :

— أخبرتنى شقيقتى أنك تود محادثتى بشأن صفقة ما يا سيد (أشرف) .

ثم التفت إلى (أيلينا) ، وصافحها ببرود وهو يتابع حواره مع (أدهم) قائلا :

— كان من الأفضل أن تأتى وحدك ، فهذا النوع من الصفقات يحتاج إلى ...

قاطعته (أيلينا) قائلة ببرود :

— اسمع يا سيد (كارلوس) ، لقد سئمت هذا الأسلوب .. إننى شريكة للسيد (أشرف) فى هذا الأمر ، وما دمت قد وافقت على إتمام هذه الصفقة فستحدث إلينا معا .

نظر إليها (كارلوس) بعينين باردتين ، ثم قال :

— من أين لعارضة أزياء شابة بمبلغ ضخم مثل هذا يا آنسة (أيلينا) ؟

نظرت (أيلينا) إلى عينيه بتحد ، وقالت :

ــ هذا ليس من شأنك يا سيد (كارلوس) .. هل ستتم الصفقة أم لا ؟

صمت (كارلوس) لحظة أخذ يحك فيها أنفه الطويل ، ثم قال :

ــ ولِمَ لا ؟. لن يختلف الأمر كثيرًا .

ثم جلس على مقعد مجاور ، ودعاهما للجلوس وهو يقول :

ــ ما كمية البضاعة التى تحتاج إليها يا سيد (أشرف) ؟

قال (أدهم) بهدوء :

ــ ما قيمته مليونا دولار من الكوكايين النقى يا سيد (كارلوس) .

مطّ (كارلوس) شفتيه وهو يقول :

ــ فلنحسبها إذن يا سيد (أشرف) .. إن الجرام الواحد يساوى خمسة عشر دولارًا وهذا يعنى أنك تريد

مائة وثلاثة وثلاثين كيلوجراما تقريبا ، وهذه كمية ضخمة .. كيف ستنقلها إلى مصر يا ترى ؟

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

ــ إننى أمتلك شركة ملاحية كبيرة يا سيد (كارلوس) ، وكل السفن التى أملكها مزودة بخزان وقود إضافى ، وهو يكفى لتخزين الكمية بأكملها .

هزّ (كارلوس) رأسه وهو يقول :

ــ فكرة طريفة يا سيد (أشرف) .

ثم صمت لحظة ، وقال :

ــ إننى أوافق على هذه الصفقة .. متى تريد تسلُّم البضاعة ، وتسليم المبلغ ؟

حرك (أدهم) كتفيه وقال :

ــ حينما تكون مستعدا لتسليم الشحنة يا سيد (كارلوس) .

وفى نفس اللحظة ارتفع صوت طائرة (هليكوبتر) مختلطا بنباح مرتفع ، فقطَّب (أدهم) حاجبيه ، وسألت (أيلينا) بدهشة :

ـ ما معنى هـذا الصوت يا سيد (كارلوس) ؟

ابتسم (كارلوس) ، وقال بهدوء :

ـ أيهما يا آنسة (أيلينا) ؟. إن النباح لكلبى (ريكس) أما الصوت الآخر فهو صوت (الهليكوبتر) الخاص بى .

قطع (أدهم) حوارهما وهو يقول :

ـ حسنا يا سيد (كارلوس) ، أخبرنى عندما تصبح مستعدا للتسليم والتسلم .

قال (كارلوس) بابتسامة ماكرة وهو يتطلّع إلى (أدهم) الذى نهض واقفا :

ـ محال أن أسمح لكما بالانصراف يا سيد (أشرف) .

نظرت إليه (أيلينا) بحدة ، فاتسعت ابتسامته وهو يقول :

ـ إن تقاليدنا تقضى بأن أدعوكما لتناول العشاء ما دمنا قد اتفقنا على إتمام الصفقة .. أنتما ضيفاى هذا المساء .

* * *

٦ ـ مفاجأة على العشاء ..

كان حفل العشاء مبهرا بكل ما فى الكلمة من معان برغم أنه لم يضم سوى (أدهم) و (أيلينا) و (كارلوس) ، فقد امتلأت المائدة بكل ما لذّ وطاب من أصناف الطعام ، التى اشتهرت بها اليونان ، وقام الخدم العديدون بكل واجبات الضيافة على أرق مستوى ، وفى نهاية العشاء قال (أدهم) مبتسما :

ـ لو أن الكوكايين الذى تصنعه فى نفس جودة هذا الطعام فسأضمن أعلى ربح ممكن فى هذه الصفقة يا سيد (كارلوس) .

ابتسم (كارلوس) وهو ينظر إلى (أيلينا) قائلا :

ـ هل تشاركين السيد (أشرف) هذا الرأى يا آنسة (أيلينا) ؟

أومأت (أيلينا) برأسها إيجابا ، وهمّت بفتح فمها

للتحدث عندما دوّى صوت (الهليكوبتر) فى السماء مرة أخرى ، واختلط فى هذه المرة أيضا بنباح (ريكس) ، فزوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وقال :

ــ عجبا يا سيد (كارلوس) .. إن معلوماتى المحدودة فى عالم الطيران تجعلنى أظن أن طيران (الهليكوبتر) ليلا غير مأمون .

ظهر التوتر على وجه (كارلوس) ، وهو يتطلع إلى باب غرفة الطعام قائلا :

ــ معلوماتك خاطئة يا سيد (أشرف) (فالهليكوبتر) من آمن وسائل الطيران الليلى .

لم يستطع (أدهم) كبح ابتسامة ساخرة وجدت طريقها إلى شفتيه ؛ لأن (كارلوس) لم يتصوّر أنه يتحدث إلى رجل يجيد قيادة الطائرات إلى درجة الاحتراف ، بل ربما يفوق المحترفين أنفسهم ، ولكن (أدهم) سرعان ما أخفى ابتسامته وهو يقول :

ــ أو لعلها الشحنة التى تطلبها قد وصلت قبل موعدها .

ابتسم (كارلوس) بخبث ، وقال :

ــ لست مبتدئا لأقوم بنقل شحنة ثمينة بهذا الأسلوب البدائى يا سيد (أشرف) .. إن هذه الطائرة تحمل ما هو أثمن من الشحنة .

سألته (أيلينا) باهتمام :

ــ ماذا تحمل الطائرة يا ترى ؟

ضحك (كارلوس) وأشار بسبابته وهو يقول :

ــ لا داعى للعجلة فستعلمين كل شىء بعد لحظات يا آنسة .

وفى هذه اللحظة دخل (ديموس) إلى الغرفة ، وأشار للخدم بمغادرتها ، فأطاعوا الأمر على الفور ، إلّا أن (أدهم) ابتسم ساخرا ، وقال :

ــ أين كنت يا عزيزى (ديموس) ؟.. لقد فاتتك مأدبة رائعة .

أغلق (ديموس) باب الغرفة بهدوء ، ثم تقدّم نحو (أدهم) الذى واصل سخريته قائلا :

وزوى (كارلوس) ما بين حاجبيه وهو يتطلع إلى (أدهم) ، الذى انفجر ضاحكا ..

ـ هل ابتلعت لسانك من الحسرة يا (ديموس) ؟.. إننى أحدثك فلِمَ لا تجيب ؟

وفجأة توترت عضلات (أيلينا)، واتسعت حدقتاها بمزيج من الرعب والدهشة ، على حين لم تتغير ابتسامة (أدهم) الساخرة المثيرة للأعصاب عندما أخرج (ديموس) مسدسا ضخما يتناسب مع قامته ، وصوَّبه نحوهما وهو يقول :

ـ احتفظ بدعاباتك أيها المخادع ، فلقد انكشف أمركما ، ولن تخرجا من هنا أحياء .

* * *

كان وقع المفاجأة شديدا على (أيلينا) ، فتسمَّرت فى مقعدها ، وارتعدت أطرافها ، وزوى (كارلوس) ما بين حاجبيه وهو يتطلع إلى (أدهم) ، الذى انفجر ضاحكا ، وأخذ يصفق براحتيه قائلا :

ـ لعبة طريفة يا عزيزى (ديموس) .. هل تتوقع أن ننهار فى هذه اللحظة ونعترف ؟

ابتسم (ديموس) بشراسة ، وقال :

ـــ أخطأت الاستنتاج يا سيد (أشرف) ، كما أخطأت بإحضارك هذه الفتاة إلى هنا .. لقد أثرت الشك فى نفسى ، فحتى لحظة وصولك إلى القصر كنا نظن أن (أيلينا) هى مجرد صديقة لك ، ولكن إصرارك على حضورها المناقشة أوقع بك وبها .

أشعل (كارلوس) سيجارته ، وقال :

ـــ ماذا أسفرت عنه تحرياتك يا (ديموس) ؟

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه متظاهرا بالغضب وهو يقول :

ـــ تحريات ؟.. إنك تتعامل من منطلق عدم الثقة يا سيد (كارلوس) ، وأنا لا أحب هذا الأسلوب .

ازدادت ابتسامة (ديموس) شراسة وهو يقول :

ـــ لقد أسفرت التحريات عن مفاجأة أيها الزعيم .. مفاجأة للجميع .

ثم حوّل بصره ناحية (أيلينا) وهو يقول :

ـــ إن هذه الفتاة الوديعة التى أقنعتنا بأنها تعمل كعارضة أزياء واحدة من أفراد المخابرات اليونانية .

انفجرت الدهشة فى ملامح الجميع ، فقد تدلّى فك (أيلينا) السفلى ببلاهة غير مصدّقة أن هذا العملاق قد توصّل إلى هذه الحقيقة ، التى تعد من الأسرار العليا ، وسقطت السيجارة من فم (كارلوس) الذى أخذ ينقل بصره بذهول بين (أدهم) و (أيلينا)و (ديموس) .. أمّا (أدهم) فقد زوى ما بين حاجبيه ، وقال :

ـــ ما معنى هذا العبث ؟ أى أفكار حمقاء تدور بعقلك أيها الوغد ؟

قفز (كارلوس) من مقعده وصاح :

ـــ ولكن كيف يا (ديموس) ؟.. إن مثل هذه الأمور لا تخص رجال المخابرات .

حرّك (ديموس) رأسه ببطء ، وقال بقسوة :

ـــ لست أدرى أنا أيضا أيها الزعيم ، ولكن هذه

المعلومات مؤكدة ، فلقد حصلت عليها عن طريق أهم عملائنا فى إدارتهم .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ــ رائع يا عزيزى (ديموس) ، لقد حطمت فى لحظة واحدة قاعدة هامة كنت أومن بها .. لقد كنت أظن دوما أن أصحاب الأجسام الضخمة يمتلكون عقولا غبية ، أو كما يقولون (جسم البغال ، وأحلام العصافير) .

جذب (ديموس) إبرة الأمان بمسدسه ، وصوّبه إلى رأس (أدهم) وهو يقول بشراسة بالغة :

ــ دعك من هذا الهراء ، واتل صلاتك الأخيرة ، أيها الخائن ، فقد حانت نهايتك .

* * *

٧ ــ الهروب ..

ضغطت أصابع (ديموس) على الزناد ، وانطلقت الرصاصة فى اتجاهها الصحيح ، ولكنها لم تصب هدفها ؛ لأنه ببساطة لم يكن فى موضعه ، فقد قفز (أدهم) من فوق مقعده إلى اليسار ، ثم ارتفع جسده برشاقة مذهلة ، لتستقر قدماه فوق المائدة بعيدا عن اتجاه الرصاصة ، وقبل أن يفهم (ديموس) ما حدث ، كان (أدهم) قد قفز نحوه ، وأمسك معصمه بقوة خارقة ، فى نفس اللحظة التى صوّب فيها لكمة قوية إلى فكه وهو يقول بلهجة ساخرة :

ــ إن هذا الوقت لا يناسب صلاتى الأخيرة أيها الوغد .

سقط المسدس الضخم من قبضة (ديموس) ، وتراجع بضع خطوات إلى الوراء ، على حين صوّب

(أدهم) لكمة ساحقة إلى معدته وهو يتابع قائلا :

ـ لقد أديت فروض الخمسة ، ولم يبق سوى تحطيم وجهك القبيح .

انحنى الجسد العملاق من تأثير الضربة التى أصابت معدته ، وأسرع (كارلوس) محاولا التقاط المسدس ، ولكنّ (أيلينا) سبقته إليه ، وصوّبته إلى صدره قائلة :

ـ مكانك يا سيد (كارلوس) .. إننى لن أتردّد فى إطلاق النار .

نظر (أدهم) بدهشة إلى (ديموس) ، الذى انتصب واقفا ، ومسح الدماء التى تسيل من طرف شفتيه بوحشية قائلا :

ـ سأمزّقك أيها المصرى الخائن .. سأمزّقك إربا .

قفز العملاق بجسده الضخم القوىّ نحو (أدهم) ، وهو يزمجر بوحشية ، كذئب مفترس ، ولكن (أدهم) تلقاه بلكمة ساحقة كفيلة بقتل ثور ضخم ، تلقاها العملاق على فكه ، فتأوّه بألم ، ولكنه لم يسقط أرضا .

فابتسم (أدهم) ساخرا ، وقال :

ـ إنك خصم ممتع يا (ديموس) .. يبدو أن عضلاتك هذه قد قُدّت من الصخر .

اندفع (ديموس) نحو (أدهم) ، وقد حوّله الغضب إلى مجنون خطر ، ولكن هذا الأخير قفز عاليا ، وركل (ديموس) فى أنفه بقوة ، ثم دار بجسده فى الهواء دورة رأسية ، تشبه ما يفعله لاعبو السيرك ، وهبط خلف (ديموس) ، ثم وجّه ثلاث لكمات سريعة قوية إلى مؤخرة عنقه الضخم ، فخرجت من حنجرة العملاق حشرجة خشنة ، وجحظت عيناه وكأنهما ستقفزان من محجريهما ، وسقط على الأرض كصخرة ضخمة ، فاقد الوعى ..

اتسعت عينا (أيلينا) ذهولا من هذه المهارة الفائقة التى أبداها (أدهم) ، وصدرت من فمها على الرغم منها كلمة واحدة ، اعتاد (أدهم) سماعها كلما أتى بإحدى مهاراته المذهلة ، فلقد نطقت بذهول قائلة :

— مستحيل !!

ولقد كلفتها لحظة الذهول هذه كثيرا ، فقد قفز (كارلوس) نحوها ، ولكمها بقسوة ، ثم انتزع المسدس من قبضتها ، وصوبه نحو (أدهم) ، وضغطت أصابعه على الزناد .

* * *

غاص (أدهم) بجسده إلى أسفل ، ثم مال يسارا ، وتحركت قدمه كالبرق مطيحة بالمسدس بعيدا ، ثم صوب لكمة واحدة قوية إلى فك (كارلوس) ، فقد بعدها الأخير وعيه ، وسقط فوق المائدة العامرة بالطعام .

التقط (أدهم) المسدس ، ثم عاون (أيلينا) على النهوض ، وهي تتمتم بمزيج من الغضب والألم قائلة :

— هذا الوغد .. كيف يجرؤ على ضرب سيدة ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

— ليست هذه هي المشكلة الآن أيتها الملازم ، فلقد

انطلقت رصاصتان ولا بد أن مغادرة هذا القصر ستصبح شبه مستحيلة بعدهما .

قال هذا وتوجه نحو باب الغرفة دون أن ينتظر تعليقها ، فسألته بقلق :

— ماذا تنوى أن تفعل ؟

أشار إليها (أدهم) أن تلحق به وهو يقول :

— يقولون : إنه من الأفضل طرق الحديد وهو ساخن أيتها الملازم ؛ ولذلك فسنحاول الهرب بأقصى سرعة قبل أن يتخذ هؤلاء الأوغاد أهبتهم .

وما أن فتح (أدهم) باب الغرفة حتى اندفع نحوه أحد خدم القصر ممسكا بهراوة ضخمة ، ولكن (أدهم) تفاداها بسهولة ، وعاجله بلكمة ألقت به بعيدا ، ثم أطلق رصاصة أطاحت بمسدس صغير يمسك به خادم آخر ، وأمسك بكف (أيلينا) ، وانطلق يعدو عبر البهو الضخم ، إلى أن اقتربا من باب القصر الخارجي ، فاعترضهما شاب يصوب نحوهما مسدسا

كبيرا ، ويهم بإطلاقه ، ولكن (أدهم) ترك يد (أيلينا) ، وأطاح بمسدس الشاب بلكمة قوية من حافة يده ، ثم ضرب وجه الشاب بقبضة مسدسه ، وقفز فوقه عابرًا باب القصر ، وتبعته (أيلينا) بتلقائية ، وقد أذهلها هذا التصرف السريع ، الذى يمتاز به (أدهم) .

وما أن أصبحا خارج القصر حتى تألقت عينا (أدهم) ، وهو يتطلع إلى (الهليكوبتر) التى تقف ساكنة على بعد أمتار قليلة منهما ، وقال بلهجة بدت لـ (أيلينا) ساخرة :

ـ تصوَّرى أيتها الملازم .. لقد نجونا .

وقبل أن تستوعب (أيلينا) معنى عبارته عاد يمسك يدها ، ويعدو نحو (الهليكوبتر) ، ثم ناولها المسدس وهو يقول :

ـ أطلقى النار على كل من يقترب أيتها الملازم ، واقفزى داخل الطائرة .

أخذت (أيلينا) تطلق النار بعصبية دون أن تحدد

وقبل أن تستوعب (أيلينا) معنى عبارته عاد يمسك يدها ويعدو نحو (الهليكوبتر) ..

هدفا ما ، إلى أن جذبها (أدهم) داخل (الهليكوبتر) التى دارت مروحتها بقوة ، وهو يقول ساخرا :

ـــ كفى أيتها الملازم .. إن عدد الرصاصات فى خزان هذا المسدس محدود للغاية .

وبمهارة وسرعة بالغتين ارتفعت بهما (الهليكوبتر) ، وابتعدت يقودها (أدهم) متجاوزة السور المحيط بضيعة (كارلوس) ، وتنهدت (أيلينا) فى ارتياح ، غير مبالية بالرصاصات التى انطلقت نحو الطائرة ، ثم التفتت إلى (أدهم) ، وقالت بغضب :

ـــ لقد أفسدت مهمتى الأولى يا سيادة المقدم .. أفسدتها بخطتك الارتجالية الحمقاء .

قطّب (أدهم) حاجبيه وهو يميل بـ (الهليكوبتر) يمينا فى مهارة يحسده عليها طيارو الاستعراض ، ثم قال بغضب :

ـــ مَنْ منّا الذى أفسد هذه المهمة أيتها الملازم ؟ ألم يكن تواجدك معى هو بداية الفشل ؟.. ألم أحذرك من ذلك ؟

صاحت (أيلينا) بغضب :

ـــ إن تجاوزك للخطة الأصلية هى السبب فى حدوث كل هذا الارتباك .. لا تحاول إلقاء الخطأ على رأسى .

زفر (أدهم) بضيق ، وقال :

ـــ حسنا أيتها الملازم .. دعينا من هذا الجدل العقيم ، ودعينا نفكر فيما سنفعله بعد أن نهبط بهذه الطائرة .

قالت (أيلينا) بإصرار شديد :

ـــ سأخبرك أنا عمّا سأفعل أيها المقدم المصرى .. سأطلب من حكومتى إبعادك عن مثل هذه المهام ، سأطلب منها منعك من العمل على أرضنا .

* * *

٨ ـ الطعنة القاتلة ..

أشرقت شمس الصباح على مبنى المخابرات المصرية فى القاهرة ، ووقف مدير المخابرات يتطلع إليها من خلال زجاج نافذته ، وقد امتزج الغضب والقلق على ملامحه ، فرسمت على وجهه انطباعا عجيبا ، أثار دهشة المقدم (حازم) ، الذى تجرأ بعد فترة من الصمت ، وقال :

ـ معذرة يا سيدى ، ولكن ما السبب الذى دعوتنى للحضور من أجله فى هذه الساعة المبكرة ؟

ظل مدير المخابرات صامتًا برهة ، ثم قال بصوت حزين :

ـ لقد أرسلت إلينا المخابرات اليونانية برقية عاجلة مساء أمس تطلب منا فيها استدعاء المقدم (أدهم)، ومنعه من الاستمرار فى العمل بعد أن تسبب فى فشل المهمة.

رفع المقدم (حازم) حاجبيه بدهشة وهو يقول :

— (أدهم) ؟.. مستحيل !!.. إنها المرة الأولى .

أومأ مدير المخابرات برأسه وهو يقول :

— لقد أحزننى هذا الأمر بدرجة بالغة يا (حازم) ، ووضعنى فى حيرة شديدة .

قال المقدم (حازم) بصوت مرتبك :

— ولكن كيف؟.. كيف تسبب (أدهم) فى فشل المهمة ؟

هزّ مدير المخابرات رأسه بضيق ، وقال :

— لقد لجأ (أدهم) إلى خططه الارتجالية كالعادة ، ويبدو أنها لم تحقق النجاح فى هذه المرة .. والمؤسف أننا نقوم بهذا العمل بالاشتراك مع المخابرات اليونانية .

قال (حازم) فى وجوم :

— رباه !! ستنهار سمعة مخابراتنا فى اليونان .

ثم تملكه بعض الحنق ، فقال :

— لِمَ لا تجبرون (أدهم) على الالتزام بالخطة الموضوعة كما نفعل كلنا يا سيدى ؟

حرّك مدير المخابرات رأسه نفيا ببطء ، وقال بصوت يغلب على نبراته الحزن :

— إن (أدهم صبرى) كالجواد البرى الجامح ، الذى ينجح برشاقته وقدراته على تزعم القطيع بأكمله ، ولكنك إذا ما روّضته انطفأ بريقه ، وخبا تألقه ، وفقد قدرته على الزعامة .

صمت كلاهما لحظة ، ثم تابع مدير المخابرات قائلا :

— والرجال الذين على شاكلة (أدهم صبرى) من الصعب محاولة ترويضهم ، فإما أن تنجح وتحطم بذلك تفوقهم ، وإما أن تفشل فينتابك الشعور بالحنق ، ويزداد هو تألقا ، وهما أمران كلاهما مُرّ .

أطرق المقدم (حازم) لحظة ، ثم قال :

— وماذا تنوى أن تفعل يا سيدى ؟

هزّ مدير المخابرات رأسه بحيرة ، وقال :

— لست أدرى يا (حازم) .. إننى أعتبر (أدهم

كابن لى ، وأشعر نحوه بالحب والإعجاب ، ومن الصعب على نفسى أن أعامله بالأسلوب الذى يطلبونه ، ولكن العلاقات الدولية أمر معقد .. معقد للغاية .. صدقنى يا (حازم) ، لست أدرى بعد ماذا ينبغى علىّ أن أفعل ؟

* * *

كان (أدهم) يجلس أمام المرآة منهمكا فى تغيير ملامحه ، وهو العمل الذى يجيده بمهارة مذهلة عندما دخلت (أيلينا) إلى غرفته ، وقالت بلهجة أقرب إلى السخرية :

ـ ماذا تحاول أن تفعل يا سيادة المقدم ؟

قال (أدهم) بهدوء دون أن يلتفت إليها :

ـ سألجأ إلى خطة جديدة أيتها الملازم . سأحاول إقناع (نيقولاس) أننى رجل شرطة يسعى خلف (أشرف صدق) ، ثم ...

قاطعته (أيلينا) وهى تقول بلهجة اشتم فيها (أدهم) رائحة الشماتة :

ـ يمكنك أن توفر جهودك أيها المقدم ، فهذه المهمة لم تعد تعنيك .

استدار إليها (أدهم) ببطء ، وزوى ما بين حاجبيه وهو يقول :

ـ ماذا تعنين أيتها الملازم ؟

ابتسمت (أيلينا) بنصر وهى ترفع ورقة صغيرة أمام وجهه وتقول :

ـ لقد أصدرت حكومتك أمرا باستبعادك من هذه المهمة ، وعودتك فورا إلى القاهرة .. لقد اعترفوا بفشلك أيها المقدم .

تصلبت ملامح وجه (أدهم) وهو يقرأ التعليمات المختصرة الواضحة على الورقة الصغيرة ، ثم رفع رأسه نحو (أيلينا) ، وقال بصوت يقطر بالمرارة :

ـ لقد طعنت مخابرات دولتى أيتها الملازم .. طعنة قاتلة .

ألقت (أيلينا) بالورقة على مقعد قريب،واستدارت قائلة :

— وداعا أيها المقدم .. إنك تمتلك قدرات جسدية هائلة ، ولكنك لا تصلح لعمل المخابرات .

ثم ندت عنها صرخة مكتومة عندما جذبها (أدهم) من شعرها ، وألقاها فوق مقعد قريب ، واتسعت عيناها ذعرا وهى تقول :

— هل أصابك الجنون أيها المصرى ؟.. ماذا تفعل ؟

وفوجئت بـ (أدهم) يكمم فمها وهو يقول بصوت جاف :

— ربما أيتها الملازم ، ولكننى لن أسمح لكائن من كان بأن يتسبب فى فشل مهمتى .. سأنهى هذه المهمة بنجاح حتى لو دفعت حياتى ثمنا لها .

حاولت (أيلينا) أن تقاوم عندما قيدها (أدهم) فى مقعدها ، ولكنه تغلب على مقاومتها بسهولة ، وتابع قائلا :

— سأتولى الأمر وحدى أيتها الملازم ، وسأعود بعد نجاح المهمة لحل وثاقك ، فحتى لو قررت حكومتى

استبعادى فلن أقبل الفشل أبدا .

تطلعت إليه (أيلينا) بيأس وهو يحشو مسدسه بالرصاص قائلا بصوت مخيف :

— فلتتل صلاتك الآن يا (نيقولاس أندرياس) ، فإن (أدهم صبرى) قد قرر أن يقاتلك حتى الموت .

* * *

٩ ـ الصراع الرهيب ..

تراجعت سكرتيرة مكتب (نيقولاس) بذعر عندما اقتحم(أدهم) غرفتها بادى الغضب،وصاحت بصوت مرتجف وهى تشير إلى غرفة رئيسها :

ـ إن السيد (نيقولاس) لن يستقبل أحدا على الإطلاق هذا اليوم .. إنها أوامره .

ارتكن (أدهم) براحتيه على مكتبها ، ومال نحوها وهو يقول بصوت أرعبها :

ـ أخبريه أننى سأقابله سواء شاء أم أبى .

ارتعدت السكرتيرة المسكينة وهى تقول بصوت باك :

ـ أرجوك يا سيد (أشرف)، إننى أنفذ أوامره فقط .

وهنا شعر (أدهم) بيد ضخمة توضع على كتفه ،

وسمع صوت (ديموس) قاسيا وهو يقول :

ـ ألم تفهم يا سيد (أشرف) ؟.. إننا لن نسمح لك بالدخول .

استدار (أدهم) بسرعة خاطفة كالبرق ، ووجه إلى (ديموس) لكمة أودعها كل ما يعتمل فى نفسه من الغضب والسخط .. لكمة سقطت على فك (ديموس) كالقنبلة ، وأطاحت بجسده الضخم ثلاثة أمتار إلى الوراء ، فارتطم بالحائط ، وتأوه بألم ، ولكن (أدهم) لم يرحمه ولم يمهله ، وإنما قفز نحوه ، وكال إليه اللكمات فى معدته وفكه وأنفه ، حتى سقط العملاق كالصخرة ، واختلطت عظام أنفه المهشم بدمائه ...

لم تحتمل السكرتيرة المسكينة هذا المشهد البالغ العنف ، فمادت الأرضُ تحت قدميها ، وسقطت فاقدة الوعى ، ولم يلتفت إليها (أدهم) ، بل قفز نحو باب غرفة (نيقولاس) ، وحطّمه بقدمه ، ثم تفادى رصاصة أطلقها نحوه هذا الأخير ، بأن مال يسارا ، وانتزع

استدار (أدهم) بسرعة خاطفة كالبرق ، ووجه إلى (ديموس) لكمة أودعها كل ما يعتمل فى نفسه من الغضب والسخط ..

مسدسه من سترته ، وأطلق رصاصة أطاحت بمسدس (نيقولاس) ، الذى صرخ بمزيج من الرعب والألم ، وحاول الهروب من باب جانبى ، ولكن (أدهم) عبر المكتب كله بقفزة واحدة أوصلته إلى ما أمام (نيقولاس) ، ثم قبض على عنقه ، وقال بقسوة :

— إلى أين أيها الـ ....

وفجأة توقف (أدهم) عن إتمام عبارته ، وحدق بدهشة فى كدمة صغيرة زرقاء على ذقن (نيقولاس) ، ولم يستغرق توقفه هذا سوى ثانية واحدة ، تبدلت ملامحه بعدها بغتة ، وعلت ابتسامة ساخرة شفتيه ، وهو يكمل عبارته قائلا :

— أيها الزعيم المزدوج .

حاول (نيقولاس) بيأس أن يبعد قبضة (أدهم) عن عنقه ، وهو يصيح بصوت متحشرج :

— اتركنى يا سيد (أشرف) .. اتركنى وإلا انتقم لى شقيقى .

قهقه (أدهم) ضاحكا بسخرية ، ثم اقترب بوجهه من وجه (نيقولاس) ، وقال متهكما :

— أى شقيق هذا الذى تتحدث عنه يا سيد (نيقولاس) ؟.. إن كلينا يعلم أنه لا وجود له .

اتسعت عينا (نيقولاس) وهو يقول بذعر :

— ماذا ؟.. ماذا تعنى يا سيد (أشرف) ؟

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وقال :

— أنت عنيد للغاية يا سيد (نيقولاس) .. حسنا .. هاك الدليل .

وبسرعة نزع (أدهم) الشعر المستعار الذى يغطى رأس (نيقولاس) ، فجحظت عينا هذا الأخير بذعر ، وبدا رأسه الأصلع واضحا تحت أضواء الغرفة ، فضحك (أدهم) بسخرية وهو يقول :

— لم يبق سوى الشارب المستعار ، وتتحول إلى (كارلوس) .. أنت عبقرى إجرامى يا سيد (نيقولاس) ، لقد خدعت الجميع طوال سنوات

عدة .. أراهنك أنه لا يوجد ولم يوجد السيد (كارلوس) على الإطلاق .

وأعقب (أدهم) عبارته بأن أرخى قبضته على عنق (نيقولاس) ، وقال :

— ولقد أخطأت عندما ظننت أننى أعمل ضدك يا (نيقولاس) .. لقد خدعتنى الفتاة أنا الآخر . ولكنها نالت جزاءها .

حدّق (نيقولاس) فى وجهه بدهشة ، وقال :

— يا إلهى !! هل تعنى أنك لم تكن تعلم ؟

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

— بالطبع يا (نيقولاس) .. لو أننى ضدك ما ترددت فى إخبار الشرطة بأمر انتحالك لشخصية (كارلوس) .

زوى (نيقولاس) ما بين حاجبيه ، وقال :

— يا إلهى !! هذا صحيح .. لقد كدت أقضى بغبائى على حليف قوىّ .

ثم رفع رأسه نحو (أدهم) ، وقال :

— ماذا فعلت بالفتاة يا سيد (أشرف) ؟

ضحك (أدهم) ، وقال متظاهرا بالقسوة :

— إن جثتها ترقد فى قاع البحر الآن يا صديقى .

هزّ (نيقولاس) رأسه ، وقال مبتسما :

— رائع .. إنك تتصرف بسرعة رائعة يا سيد (أشرف) .

ثم قطّب حاجبيه فجأة ، وقال بشك :

— ولكن ، لماذا أنقذتها فى القصر ما دمت تنوى التخلص منها ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

— كان لا بد من إنقاذها ما دمت لم أعلم بعد مدى ما تعرفه من معلومات وما دمتم لم تمهلونى الوقت الكافى لإيضاح موقفى .

ظل (نيقولاس) صامتا برهة ، ثم انفجر ضاحكا ، وأخذ يضرب على المكتب براحته وهو يضحك كطفل صغير و (أدهم) يراقبه بمزيج من الدهشة والحذر .. وأخيرا قال من وسط ضحكاته :

— أنت رائع يا سيد (أشرف) .. أعظم رجل أعمال قابلته فى حياتى.، فأنت مقاتل مذهل ، ومفكر عبقرى ، ومحارب شجاع .. إنك تصلح لزعامة امبراطورية المخدرات فى العالم أجمع يا صديقى .

ابتسم (أدهم) ، وأشار إليه بسبابته قائلا :

— ولكننى لم أبلغ نصف عبقريتك بعد يا(نيقولاس)، إن اختراعك لشخصية شقيقك (كارلوس) أمر ينم عن ذكاء مفرط .

هزّ (نيقولاس) رأسه وهو يقول :

— إننى لم أخترع هذه الشخصية ياسيد(أشرف)، ولكننى أحسنت استغلالها .

ثم قام واقفا ، وأخذ يسير فى أنحاء الغرفة وهو يتابع قائلا :

— لقد كان (كارلوس) شقيقى بالفعل،ولم تكن له أية علاقة بالمخدرات ، إلى أن أصيب فى حادث سيارة ولقى مصرعه .. لم يعلم بهذا الحادث سواى و (ديموس) ، ولقد قررت من يومها أن يبقى الأمر سرًا ، وأن أتخذ

الشخصيتين فى آن واحد ، فتكون إحداهما تغطية للأخرى .. فلو عثر رجال الشرطة على دليل ضد (نيقولاس أندرياس) يختفى هذا الأخير فى الحال ، ويبقى (كارلوس أندرياس) الوديع ، والعكس بالعكس .. ولقد كانت خطة ناجحة برغم أنها أرهقتنى فى التنقل (بالهليكوبتر) بين (أثينا) و (ألكسندرو بولوس) ، ولكننى أحسنت استغلال هذا التنقل .

وابتسم بخبث وهو يستطرد قائلا :

— لقد أحسنت استغلاله إلى أقصى درجة .

ثم ضحك قبل أن يقول :

— من حسن الحظ أن غرفة مكتبى ومكتب سكرتيرتى مصنوعة جدرانهما من مادة عازلة للصوت ؛ ولذلك سيبقى ما حدث هنا سرًا ما دمت سأضمن سكوت سكرتيرتى .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— إننى أفضل ذلك يا (نيقولاس) ، والآن هل تم صفقتنا معًا ؟

رفع (نيقولاس) حاجبيه بدهشة ، وقال :

— أمازلت مصرًا على إتمام الصفقة يا سيد (أشرف) ؟

هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

— ولم لا ؟.. إننى أعتقد أن الأمور لم تتبدل كثيرا يا (نيقولاس) .

أخذ (نيقولاس) يحك أنفه مفكرا فترة طويلة ، ثم قال مبتسما :

— حسنا يا سيد (أشرف) ، ستتم الصفقة فى (ألكسندرو بولوس) كما كان مقررا .

سأله أدهم) ساخرا :

— ومن سيتم الصفقة معى ؟.. (كارلوس) أم (نيقولاس) ؟

ابتسم (نيقولاس) ابتسامة غامضة وهو يضم كفيه خلف ظهره قائلا :

— إن (نيقولاس) لا يسافر إلى (ألكسندرو بولوس) مطلقا يا سيد (أشرف) ، ثم إن

(كارلوس) قد أعد لك مفاجأة مذهلة هناك .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

— أتعشم ألا تكون هذه المفاجأة فى صورة رصاصة قاتلة !

ضحك (نيقولاس) ، ثم قال :

— أبدا يا سيد (أشرف) .. إن (كارلوس) سيجعلك أول من يرى المكان الذى يتم فيه تصنيع الكوكايين النقى .

* * *

١٠ ـ وكر السموم ..

هبطت (الهليكوبتر) فى ساحة القصر الضخم فى (ألكسندرو بولوس) ، وقفز منها (أدهم) و (نيقولاس) المتنكر فى صورة (كارلوس) ، و (ديموس) الذى زمجر بغيظ وهو يتحسس الضمادات التى تغطى وجهه ، واختلس النظر إلى (أدهم) بحنق ، ولكن (أدهم) لم يعره اهتماما ، وسار بجوار (نيقولاس) غير مبال بنظرات الدهشة التى ارتسمت على وجوه الخدم .

واجتازوا جميعا بهو القصر الواسع ، ثم توجّهوا إلى غرفة المكتب ، وأغلقها (ديموس) بإحكام ، وهنا ابتسم (نيقولاس) قائلا لـ (أدهم) :

ـ تأمل هذا المكان جيدا يا سيد (أشرف) ، وأخبرنى هل تجد شيئا عجيبا ؟

دار (أدهم) ببصره فى أنحاء الغرفة يفحص كل ركن فيها بعناية ، ثم هزّ رأسه فى حيرة قائلا :

ـــ فى الواقع يا (نيقولاس) إننى لا أجد ما يريب .

رفع (نيقولاس) سبابته أمام وجهه وهو يبتسم قائلا :

ـــ خطأ يا سيد (أشرف) .. إن فى هذه الغرفة شيئا غير مألوف على الإطلاق .

ثم أشار إلى المكتب الضخم قائلا :

ـــ إن هذا المكتب مثبت فى أرض الغرفة بشكل يخدع أكثر العيون دِقة وحِدّة .

زمجر (ديموس) وقال بغيظ :

ـــ ماذا أصابك أيها الزعيم ؟.. إنك تكشف أوراقنا لأول مرة أمام شخص غريب .

ربّت (نيقولاس) على ظهر (أدهم) بودّ ، وقال :

ـــ بل أكشفها لأقوى حلفائنا يا (ديموس) .. إن السيد (أشرف صدقى) سيصبح منذ هذه اللحظة ذراعنا اليمنى فى مصر .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـــ إن ذلك يسعدنى يا (نيقولاس) .

مدّ (نيقولاس) يده إلى أحد النقوش المحفورة على المكتب ، وضغطه وهو يقول :

ـــ ويسعدنى أيضا يا سيد (أشرف) أن أكشف أمامك أخطر أسرارنا .

خيل لـ (أدهم) فى البداية أن المكتب الضخم يتحرك ببطء ، ثم تأكد من أن عينيه لا تخدعانه ، فقد انزاح المكتب الضخم إلى اليسار ، كاشفا عن قبو خفى ، وارتفعت أصوات مبهمة مختلطة ، وروائح عجيبة من داخل القبو . وقال (نيقولاس) وهو يشير إليه بفخر :

ـــ هنا يا سيد (أشرف) .. فى داخل ذلك المكان الذى لا يتصور أحد وجوده على الإطلاق ـــ يوجد أكبر مصنع فى العالم لإعداد الكوكايين النقى .

* * *

انزاح المكتب الضخم إلى اليسار ، كاشفًا عن قبو خفى ..

تطلّع (أدهم) بدهشة إلى الآلات الضخمة ، والإمكانات الرهيبة التى يزخر بها المصنع الضخم ، المقام فى كهف فسيح أسفل القصر .. كانت كل مراحل تصنيع الكوكايين النقى تتم بدقة بالغة ، ويشرف على إعدادها عدد ضخم من الرجال الذين يضعون الكمامات على أنوفهم وأفواههم ، كما يحدث فى أحدث مصانع الأدوية ، فابتسم بسخرية ، وقال لـ(نيقولاس) :

ـ مذهل يا (نيقولاس) .. لا بدّ أنه قد كلفك مبلغا ضخما .

هزّ (نيقولاس) كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ـ عشرة ملايين دولار فقط يا سيد (أشرف) .. إن أرباح تجارة المخدرات مرتفعة جدا كما تعلم .

عاد (ديموس) يزمجر بغضب ، فالتفت إليه (أدهم) قائلا بتهكم :

ـ أرجو أن تتوقف عن هذه الزمجرة يا عزيزى (ديموس) ، فإنها تجعلنى أخلط بينك وبين (ريكس)

نظر إليه (ديموس) بغضب ، وضمّ قبضته متحفزا للقتال ، ولكنه تذكر فجأة نتائج قتالهما السابق ، وأنفه المهشم من لكمات (أدهم) ، فأرخى قبضته ، وعاد يزمجر بغضب ، فضحك (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ـ يبدو أن صديقنا (ديموس) قد وعى الدرس يا (نيقولاس) ، فهو يخشى قتالى الآن .

قطّب (نيقولاس) حاجبيه وهو يقول بضيق :

ـ كف عن مناداتى باسم (نيقولاس) يا سيد (أشرف) ، فالجميع هنا يعرفوننى باسم (كارلوس) .

همس (أدهم) بسخرية :

ـ آه .. كدت أنسى شخصيتك المزدوجة يا (نيقولاس) .

عاد (ديموس) يزمجر قائلا :

ـ أنت مخطئ بكشف الأمور لهذا الرجل أيها الزعيم .. ما زلت أشعر أنه غير مأمون الجانب .

قهقه (أدهم) ضاحكا ، ثم قال بسخرية :

ـ يا لمشاعرك الحساسة يا عزيزى (ديموس) !! أعترف بأنك فاجأتنى ، فلقد كنت أظنك بلا شعور .

رفع (ديموس) قبضته فى وجه (أدهم) ، وصاح بغضب :

ـ كف عن سخريتك أيها الرجل ، وإلا ..!

ضم (أدهم) قبضتيه متحفزا للقتال ، وقال متهكما :

ـ وإلا ماذا أيها الوغد ؟

صاح (نيقولاس) بغضب :

ـ كفوا عن ذلك أيها السادة .

ثم نظر إلى (ديموس) ، وصاح :

ـ (ديموس) هل تحمل مسدسك ؟

أخرج (ديموس) مسدسه قائلا :

ـ نعم أيها الزعيم .

قال (نيقولاس) بلهجة بدت لأول وهلة روتينية :

ـ حسنا .. ابعد عشر خطوات ، وأمسك به جيدا .

ثم أشار إلى (أدهم) قائلا بقسوة :

ـ وصوّبه إلى رأس هذا المخادع .

* * *

قطّب (أدهم) حاجبيه ، وقال بغضب :

ـ ماذا تعنى بهذا الأسلوب السخيف فى تصرفاتك يا (نيقولاس) ؟

ابتسم (نيقولاس) بشراسة ، وقال :

ـ هل كنت تظن أنك قد خدعتنى يا سيد (أشرف) ؟.. مطلقا .. لقد شعرت منذ الوهلة الأولى أنك تحاول أن تلعب لعبة جديدة ، وها قد عاونتك فى الوصول إلى ما تريد .

برقت عينا (ديموس) بشراسة عندما علم أن زعيمه كان يخدع (أدهم) طول الوقت ، فقال بلهفة :

ـ هل أقتله أيها الزعيم ؟

أشار إليه (نيقولاس) بكفه أن يتمهّل ، وقال :

ـ ليس الآن يا (ديموس) ، فمن حق السيد (أشرف صدق) أن يعلم بكل شىء ما دامت لحظاته على الأرض أصبحت معدودة .

ثم التفت إلى (أدهم) قائلا بشماتة :

ـ لقد حاولت خداعى يا سيد (أشرف) ، ولكن خدعتك لم تنطل علىّ مطلقا ، فأسلوبك القتالى ومهارتك الشديدة فى إطلاق النار لا تتناسبان مع طبيعتك المزعومة كرجل أعمال ، ولقد قدرت فى الحال أنك محترف ؛ ولذا قررت أن أخدعك بدورى .

وضحك ضحكة قصيرة متفاخرة ، ثم تابع قائلا :

ـ لقد أخبرتك بقصة شبه صحيحة يا سيد (أشرف) ، ولكن الأسماء فيها معكوسة ، فأنا لست (نيقولاس أندرياس) ، وإنما (كارلوس أندرياس) ، أما (نيقولاس) فهو يرقد فى قبره منذ ثلاث سنوات .. وأنا يا سيد (أشرف) تاجر المخدرات الحقيقى منذ بداية

الأمر ، أما شقيقى الراحل (نيقولاس) فهو رجل أعمال شريف .. أقصد أنه كان كذلك حتى قتل فى حادث السيارة ، وهنا خطرت هذه الفكرة العبقرية فى ذهنى .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

— فكرة قذرة بلا شك أيها الوغد .

زوى (كارلوس) ما بين حاجبيه بغيظ ، وقال :

— بالعكس يا سيد (أشرف) . إنها أعظم الخطط الإجرامية عبقرية .. لقد سألت نفسى يومها : لِمَ لا ألقى بكل الشبهات على عاتق (نيقولاس) ؟.. إن ذلك لن يضيره على الإطلاق ما دام قد فارق الحياة ، ولكنه يفيدنى فى أن أبدو دائما الشقيق الهادئ الوديع ، أما إذا انكشف سر إحدى الصفقات فليبحث رجال الشرطة عن (نيقولاس) المجرم ، أما (كارلوس) فلن يقلقه أحد على الإطلاق .

عاد (ديموس) يقول بلهفة :

— دعنى أطلق النار على رأسه أيها الزعيم .

ضحك (أدهم) بسخرية ، وقال لـ (ديموس) :

— اهدأ أيها الفيل الغبى ، إن سيدك يتحدث إلىّ فى أمور لا يستوعبها عقل حجرىّ كالذى تحويه جمجمتك الضخمة .

صاح (ديموس) بغضب عارم :

— دعنى أقتله يا سيدى ، أرجوك .

زوى (كارلوس) ما بين حاجبيه ، وقال بقلق :

— احترس يا (ديموس) ، إنه يحاول أن يفقدك أعصابك .

صفق (أدهم) بكفيه ، وقال بسخرية أشد :

— استمع إلى قول سيدك أيها الخنزير الأحمق .. نعم إننى أحاول إثارة أعصابك .

صرخ (ديموس) كثور هائج ، ولم يلتفت إلى تحذير سيده ، بل أطلق نحو (أدهم) ثلاث رصاصات متتالية ، دوّت كالرعد فى الكهف .

* * *

١١ ـ الخطوة الأخيـرة ..

نجحت خطة (أدهم صبرى) تماما فى تحطيم أعصاب (ديموس) ، فلم يحسن تصويب رصاصاته التى تفاداها (أدهم) بأن قفز عاليا ، وانحرف بجسده فى الهواء ، ثم هبط على بعد خطوات من (ديموس) وأطاح بمسدسه بضربة قوية من قدمه ، ثم لكمه فى معدته وهو يقول :

ـ سألقنك درسا جديدا فى القتال أيها العملاق الغبى .

انحنى جسد (ديموس) من تأثير اللكمة ، ثم عاد وانتصب سريعا ، وهجم على (أدهم) وهو يطلق صيحات تشبه زئير الأسد الجريح ، فتلقاه (أدهم) بلكمة ساحقة على فكه جعلته يترنح متراجعا للوراء ، ثم أعقبها بأخرى كالصاعقة ، دفعت العملاق إلى مزيد من

فلقاه (أدهم) بلكمة ساحقة على فكه جعلته يترنح متراجعًا للوراء ، ثم أعقبها بأخرى كالصاعقة ..

التراجع ، فاصطدم بمرجل ضخم أفقده توازنه ، وسقط فوق بعض الأنابيب الزجاجية ، فهشمها بدوىّ هائل ..

وانسكب سائل مغلى من المرجل والأنابيب المحطمة فوق (ديموس) ، الذى أطلق صرخة ألم هائلة ، ارتجت لها جدران الكهف ، وهو يخفى عينيه المحترقتين بكفيه ، وتراجع الرجال الكثيرون الذين يعملون فى إعداد الكوكايين بذعر لمرأى هذا المشهد ، فصاح بهم (كارلوس) وقد تملكه حنق عارم :

— اقتلوه يا رجال .. مزقوه إربًا .

هجم الرجال العديدون على (أدهم) ، ولكنه أسرع يلتقط المسدس الذى سقط من يد (ديموس) ، وأطلق النار على أقربهم إليه ، فتراجع الجميع بذعر أمام عين (أدهم) ، الذى ابتسم ساخرا ، وقال لـ (كارلوس) :

— من المؤسف أن رجالك يجيدون صنع الكوكايين النقى ، ولكنهم غير قادرين على القتال يا (كارلوس) .

ارتج جسد (كارلوس) وهو يصيح فى رجاله بغضب:

— مزقوه أو أمزقكم.. اقتلوه أيها الجبناء.

تجاهل (أدهم) صيحة (كارلوس) ، وصوَّب مسدسه إلى المرجل الضخم ، وأطلق النار ...

* * *

ساد الهرج والمرج بين الرجال العديدين عندما انفجر المرجل الضخم ، وتناثرت محتوياته ، وانطلقوا يتزاحمون على مخرج الطوارئ ، على حين واصل (أدهم) إطلاق النار على أجهزة مصنع السموم ، غير مبال بصياح (كارلوس) اليائس ..

واشتعل الغضب فى قلب (كارلوس) وهو يرى إمبراطوريته الإجرامية تنهار على يد رجل واحد ، فأسرع يهاجم (أدهم) محاولا انتزاع المسدس من يده ، ولكن (أدهم) ضحك ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

— لا تحاول أيها الوغد .. إنك تشبه فأرا يحاول التهام قط قوى .

وأعقب عبارته بأن هشم فك (كارلوس) بلكمة ساحقة ، سقط على أثرها فاقد الوعى .

وبهدوء شديد تحوَّل (أدهم) مرة ثانية إلى أجهزة مصنع السموم ، وواصل إطلاق الرصاص عليها ، حتى اشتعلت النيران فى المصنع ، وهنا حمل جسد (كارلوس) الفاقد الوعى ، وألقى مسدسه وسط النيران ، وهو يقول بسخرية :

— كنت أودُّ أن أتركك لنيران سمومك أيها الوغد ، ولكننى أفضل أن أسلمك بنفسى إلى العدالة .

* * *

منذ أن غادر (أدهم) غرفته فى الفندق تاركا (أيلينا) مقيدة الذراعين ، مكممة الفم وهى تحاول باستماتة التخلص من قيودها ، وإبلاغ رجال المخابرات اليونانية بالتطور الذى طرأ على الأمر . ولم تكد تنجح بعد مضى أربع ساعات ونصف حتى فتح الباب ، وطالعها (أدهم) مبتسما وهو يمزق الثياب قائلا بسخرية :

— رائع أيتها الملازم .. إنك تمتازين بعزيمة قوية .

ثم اقترب منها بهدوء ، وحلّ كمامتها ، فصاحت بعصبية وغضب :

— إنك تتصرف بأسلوب المجرمين يا سيادة المقدم .. سأخبر دولتك بكل هذه المخالفات ، سأطالبهم بـ ...

قاطعها (أدهم) وهو يحل وثاقها قائلا بهدوء :

— إنهم يعلمون كل شىء أيتها الملازم .

مسحت (أيلينا) معصميها من أثر القيود ، وصاحت بغيظ :

— إنهم يعلمون فقط أن المهمة قد فشلت بسببك أيها المقدم ، وأنك ...

عاد (أدهم) يقاطعها وهو يجلس بهدوء على مقعد قريب قائلا :

— لقد نجحت المهمة أيتها الملازم .. نجحت تماما منذ ساعة واحدة .

حدّقت (أيلينا) فى وجهه بذهول دقيقة ، ثم هزّت رأسها بعناد قائلة :

— لا أصدّق أيها المقدم .. لقد غادرتنى منذ أربع ساعات ونصف ساعة فقط ، ومن المستحيل أن ....

ثم توقفت عن الاسترسال وهى تحملق فى ابتسامته الهادئة الواثقة ، وترددت وهى تسأله بشك :

— أحقا ما تقول أيها المقدم ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابا ببطء ، وقال مبتسما :

— نعم أيتها الملازم ، لقد توصّلت إلى المصنع السرّى الذى يقوم هؤلاء المجرمون بصنع سمومهم فيه ، وأوقعت بالشقيقين (نيقولاس) و (كارلوس) بضربة واحدة .

اتسعت عيناها ذهولا ، وتمتمت بحنق :

— مستحيل .. هل نجحت وحدك ؟.. هل نجحت بمفردك على أرض يونانية ؟

ثم ارتفع صوتها وهى تصرخ بغضب عارم :

— هذا مستحيل أيها المقدم .. مستحيل ، مستحيل .

تراخى (أدهم) فى المقعد الوثير ، وأغمض عينيه

وهو يقول بصوت هادئ مشوب بالمرارة :

ــ لقد حققته ؛ لأنه مستحيل أيتها الملازم .. فلقد كانوا يطلقون علىّ فى مخابراتنا لقب رجل المستحيل .

* * *

١٢ ــ الختام ..

ضرب مدير المخابرات المصرية قبضته على مكتبه ، وصاح بغضب محدثا (أدهم صبرى) :

ــ كيف تجرؤ على عصيان أوامر الإدارة أيها المقدم ؟

ثم نهض من مقعده ، وسار فى الغرفة وهو يقول بغضب عارم :

ــ كان ينبغى أن تتنحى عن المهمة فور تسلمك لبرقيتنا .. إننا لا نعبث فى مثل هذه الأمور ، فالقرارات التى تصدرها إدارتنا مدروسة بدقة ، ولا تحتمل المناقشة أو العصيان .. إنك تتصرف دائما وكأنك مدنىّ لا ضابط مسئول فى جهاز منظم ، بل غاية فى التنظيم والدقة .

واستدار نحو (أدهم) مشيرا إليه بسبابته ، وهو يتابع غاضبا :

ــ لقد أخجلتنا بتصرفك هذا ، ووضعتنا فى موضع الدولة التى تعجز عن أن تسيطر على ضابط تابع لها فى أثناء قيامه بمهمة رسمية .

قال (أدهم) بصوت ثابت :

ــ ولكننى أنجزت المهمة بنجاح يا سيدى . وأوقعت بامبراطورية السم التى ...

قاطعه مدير المخابرات قائلا بغضب :

ــ أعلم ذلك أيها المقدم ، فهو وارد فى التقرير الذى قدمته إلى الإدارة ، ولكننى أرى أنك قد فشلت فشلا ذريعا هذه المرة ، فلقد قضيت على امبراطورية السم وسمعة الإدارة فى آن واحد .

قال (أدهم) بعناد :

ــ ولكن المخابرات اليونانية لم تر هذا الرأى يا سيدى .. لقد أثنوا على العمل ، وابتهجوا لنجاحنا فى

التخلص من أكبر تجار المخدرات فى اليونان .

عاد مدير المخابرات يضرب بقبضته على مكتبه وهو يصيح :

ــ اصمت أيها المقدم .. اصمت .. إنك تكابر ، وتصرُّ على عدم إطاعة الأوامر ، وينبغى أن تتعلم جيِّدًا كيف تطيعها .

قطَّب (أدهم) حاجبيه وهو يقول :

ــ أعتقد أنه لم يعد هناك وقت لتعلم ذلك يا سيدى .

نظر مدير المخابرات فى عينيه مباشرة ، وقال بغضب :

ــ ماذا تعنى أيها المقدم ؟

قال (أدهم) بهدوء :

ــ أعنى أن الإدارة قد طعنتنى فى ظهرى بإصدارها أمرًا باستبعادى من المهمة يا سيدى ، ولقد قررت ...

تحول غضب مدير المخابرات إلى ثورة عارمة وهو يقاطع (أدهم) صائحا :

— قررت ؟.. قررت ماذا أيها المقدم ؟ هل نسيت رتبتك الحالية ؟.. إنك لا تصلح للأعمال النظامية .. إنك برىّ تحتاج إلى ترويض عنيف .. هل تعلم أن أمرا بترقيتك إلى رتبة العقيد كان قد صدر بالفعل ، ثم تراجع السيد الوزير عنه عندما علم بما فعلته فى اليونان .. إنك تخسر الكثير بسبب عنادك هذا أيها المقدم .

أخرج (أدهم) ورقة مطوية من سترته ، ووضعها أمام مدير المخابرات، ثم أدى التحية العسكرية، وقال بهدوء:

— أرجو أن تسمح لى بالانصراف يا سيدى .

قال مدير المخابرات بحنق :

— إننى لم أنته من كلامى بعد أيها المقدم .

عاد (أدهم) يقول بإصرار :

— أرجوك يا سيدى أن تسمح لى بالانصراف .

زفر مدير المخابرات ، ثم أشار إليه أن ينصرف ، فتحرك (أدهم) بخطوات هادئة ، وغادر الغرفة مغلقا الباب خلفه ..

تحرّك مدير المخابرات نحو نافذة غرفته الزجاجية ، وتنهّد بضيق ، وهو يتطلع منها حتى سمع صوت طرقات خافتة على باب حجرته ، فطلب من الطارق الدخول ، وما أن وقع بصره عليه حتى قال بعصبية :

— ماذا وراءك يا (حازم) ؟

اقترب منه المقدم (حازم) ، وقال بقلق :

— معذرة يا سيدى ، ولكن المقدم (أدهم صبرى) قام بتسليم مسدسه إلى إدارة العهد ، ورأيت أن أسألك عن معنى هذا الإجراء .

زوى مدير المخابرات ما بين عينيه ، وقال مشيرًا إلى الورقة المطوية التى تركها (أدهم) فوق مكتبه :

— ناولنى هذه الورقة يا (حازم) ، فأعتقد أنها تحتوى على الإجابة .

ناوله (حازم) الورقة ، وانتظر بقلق وفضول حتى انتهى مدير المخابرات من قراءتها ، وطوّحها فوق المكتب وهو يقول بضيق :

ـ اللعنة !! إن هذا الفتى متهور إلى أقصى درجة .
سأله (حازم) بفضول وحيرة :
ـ علام تحتوى هذه الورقة يا سيدى ؟
صمت مدير المخابرات . وأخذ ينظر من نافذة حجرته على (أدهم صبرى) وهو يغادر الإدارة متوجها إلى سيارته . ثم قال بصوت يميل إلى الحزن :
ـ إنها تحتوى على استقالة المقدم (أدهم صبرى) من المخابرات الحربية يا (حازم) .
تمتم (حازم) بمزيج من الحزن والدهشة والأسف قائلا :
ـ يا إلهى !! لقد خسرنا أفضل رجالنا يا سيدى .
تطلع مدير المخابرات إلى سيارة (أدهم) التى انطلقت مبتعدة ، وتنهد قبل أن يقول بأسف :
ـ نعم يا (حازم) .. لم يعد فى الإدارة من يحمل اسم رجل المستحيل .

* * *

(تمت بحمد الله)